

مصادر علوم القرآن في كتاب الإتقان
وأثرها في اختيارات السيوطي (ت ٩١١هـ)
-دراسة وصفية تحليلية-

Titled «Sources of Qur'anic Sciences
in the Book of Al-Itqan and Their
Impact on Al-Suyuti's Selections»

إعداد

الدكتور محمد بن أحمد مغربي
DR Mohamed Ahmed Megherbi

Associate Professor of Interpretation and
Qur'anic Sciences, Faculty of Sharia and Law- Jouf
University

mamegherbi@ju.edu.sa

warchene@gmail.com



الجامعة الإسلامية بنيسوتا
Islamic University of Minnesota
المركز الرئيسي IUM



ملخص :

حاول الباحث في هذه الورقات المعدودات ، المسماة « مصادر علوم القرآن في كتاب الإتقان وأثرها في اختيارات السيوطي (ت ٩١١هـ) » ، إبراز شيءٍ من أهم المصادر الأصلية التخصصية والتأسيسية لفنون علوم القرآن، التي اعتمدها الحافظ السيوطي في كتاب الإتقان. لإمكان الوقوف على أثرها في اختياراته لقضايا علوم القرآن. وقد تصدّر البحث تمهيدٌ منهجيٌّ في التعريف بشخصية السيوطي العلمية وأهمية كتابه. ثم أتبعته بمحدثين اثنين ، الأول في فحص أهم مصادره التخصصية في علوم القرآن ومروياتها، والآخر في سرد اختياراته الإجمالية لقضايا علوم القرآن . ونهج الباحث في عرضه المادة العلمية الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي ، أمّا المنهج الاستقرائي فتنبَّع وجمع أبرز المصادر المؤثرة في اختيارات السيوطي، وأمّا المنهج التحليلي فقد أتى على وصف المصادر وشرح مسائلها المنتقاة التي لها علاقة باختيارات السيوطي ومدى قوة القيمة العلمية فيها . وتوضّل البحث إلى نتائج تقويمية منها :- موافقات السيوطي لجمهور المفسرين وعلماء علوم القرآن في مجمل قضايا علوم القرآن . - قلة انفرادات السيوطي في علوم القرآن . وأما التوصيات فمنها :- استدراكات ابن عقيلة على السيوطي في علوم القرآن .

الكلمات المفتاحية : علوم القرآن - السيوطي - مصادر - اختيارات .



Abstract:

In these few papers, Titled «Sources of Qurʾanic Sciences in the Book of Al-Itqan and Their Impact on Al-Suyuti's Selections» the researcher has attempted to highlight some of the most important original, specialized, and foundational sources for the arts of Qurʾanic sciences, which Al-Hafiz Al-Suyuti relied on in his book Al-Itqan, in order to be able to understand their impact on his choices of Qurʾanic sciences issues.

The research presented an introduction to the research by defining Al-Suyuti's scientific personality and the importance of his book. Then I followed it with two motivations, the first in examining his most important specialized sources in the sciences of the Qurʾan and its narrations, and the other in listing his general choices of the issues of the sciences of the Qurʾan. In presenting the scholarly material, the researcher employed both inductive and analytical methods: the inductive approach was used to trace and gather the key sources that influenced Al-Suyuti's choices, while the analytical approach involved describing these sources, explaining selected issues relevant to Al-Suyuti's selections, and assessing the strength of their scholarly value. The research reached evaluative results, including: Al-Suyuti's agreement with the majority of interpreters and scholars of the sciences of the Qurʾan on the whole issues of the sciences of the Qurʾan. The few unique writings of Al-Suyuti in the sciences of the Qurʾan. As for the recommendations, they include Ibn Aqila's additions to al-Suyuti's work on the sciences of the Qurʾan.

Keywords: Quranic Sciences - Al-Suyuti - Sources - Selections.

مقدّمة

الحمد لله نعمه ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، أمّا بعد : فهذا بحث منهجيّ في تقديم نماذج من أبرز مصادر علوم القرآن التي بنى عليها الحافظ السيوطي كتابه الإتقان، وما أتبعه من اختيارات وترجيح أو توجيه لما علق بقضايا علوم القرآن . وقد حاول الباحث استخلاص أهم المصادر الأصلية التخصصية والتأسيسية لعلوم القرآن خاصة المسائل الشائكة التي ينبغي عليها تحقيق وحسن تأصيل وما يلزم من النقد والاختيار السليم كمسائل نزول القرآن وجمع القرآن والقراءات وأسباب النزول وغيرها .

لذا جاءت الدراسة جامعة بين فحص المصادر المعتمدة وما أثر عنها من اختيارات السيوطي إجمالاً ، خاصة وأنّ تدوين كتاب الإتقان تزامن مع جلب كتابين اثنين مهمّين في هذا العلم الشريف هما «مواقع العلوم» للبلقني (ت ٨٢٥هـ) و«البرهان في علوم القرآن» للبدر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، إذ قد طلبهما الحافظ السيوطي ليُجَلِّي تأسيس علمية علوم القرآن، وتحرير مصطلحاته ومسائله ، فأوصلها إلى ثمانين عنواناً إجمالاً ، بعدما عدل إلى اختصار وتحرير ما دونه سابقاً في كتاب «التحرير في علوم التفسير» الذي بلغ به التقسيم والتبويب إلى ما يزيد عن مائة نوع وباب في هذا العلم اللطيف .

وإذ قد عزمْتُ على ربط جهود السيوطي في هذا الفن بما اعتمد من مصنفات رئيسية وتأسيسية وأصلية ، مع ما توصل إليه من اختيارات ، فسميت البحث «مصادر علوم القرآن في كتاب الإتقان وأثرها في اختيارات السيوطي (ت ٩١١هـ)-دراسة وصفية تحليلية» .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

1. تجديد القراءة في مصادر علوم القرآن لفهم مناهج مؤلفيها ومنشأ اختيارات السيوطي منها.
2. التعريف بجهود الإمام السيوطي الدقيقة في صناعة كتابه الإتقان



في علوم القرآن، وإثراء قيمته العلمية .
3. تقريب مقدمة كتاب الإتقان المشحونة بتعدد مصادرها العامة والتخصصية ، وترشيحها لشرح منهجي أكاديمي.

مشكلة البحث :

يعتبر كتاب الإتقان موسوعة علمية متعددة المسائل العلاقة بفنون علوم القرآن، وإذ قد دوّن الحافظ السيوطي كتابه بعدما استقرّ عنده تأصيل قضايا علوم القرآن، معتمداً مصادر أصلية تخصصية مستقلة وجامعة وأخرى تكميلية ، استوقف النظر دراسة المصادر المؤثرة في اختيارات السيوطي لعلوم القرآن، وعرض أسئلة تقويمية .

أسئلة البحث :

ما هي أهم المصادر التخصصية التي بنى عليها السيوطي كتابه وأثرت في اختياراته ؟ وما أنواع مصادره ؟ وما اختيارات السيوطي التي أودعها كتابه الإتقان ؟ وهل وافق جمهور علماء الفن فيما ذهب إليه ؟ وهل له انفرادات ؟ وما أثر كتاب الإتقان في مصنفات المتأخرين عنه والمعاصرين ؟

حدود البحث :

يتناول البحث دراسة أبرز المصادر المؤثرة في تأسيس وتحرير قضايا علوم القرآن من خلال كتاب الإتقان وبيان مدى أثرها في اختيارات الحافظ السيوطي .

أهداف البحث :

1. بيان القيمة العلمية لكتاب الإتقان وأثره في دراسات المتأخرين والمعاصرين .
2. إبراز أهم المصادر التخصصية في علوم القرآن المؤثرة في اختيارات السيوطي .
3. بيان علاقة مصادر السيوطي باختياراته .

4. الإشارة إلى نقض السيوطي لمن سبقه من مؤلفي علوم القرآن بامثال الرشف من المصادر التخصصية بحسب أنواع الفنون المودعة في الأبواب الثمانية من كتابه .

الدراسات السابقة :

وقفتُ على عناوين ورسائل علمية ، تناولت شخصية الحافظ السيوطي وإسهاماته في علوم الشريعة عمومًا ، والدراسات القرآنية والتفسير والحديث خصوصًا، منها الذي قدرتُ على تحصيله وقراءته ، ومنها ما لم أظفر به إلا ببيانات العنوان ، وحاولت هنا بيان موضوعات الدراسات السابقة ثم إضافتي إليها والله الموفق .

1. علوم القرآن بين البرهان والإتقان: للدكتور حازم سعيد حَيَّدر، وهو دراسة توثيقية مقارنة بين الكتابين وكشاف منهجيٍّ للمسائل المشتركة والمفترقة بينهما، وكذا بيان انفراد المؤلفين في تأليفهما وما زاده السيوطيُّ على الزركشي في الأبواب الثمانية من علوم القرآن مع ملاحظة بعض المآخذ عليهما . وهي رسالة ماجستير في القرآن وعلومه ، قدّمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، عام ١٤١٦هـ .

2. الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف الشربجي . أصل الكتاب رسالة دكتوراه، نوقشت بجامعة الزيتونة بتونس . نشر دار المكتبي . دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ . هذا، وإن الكتاب تناول دراسة استقرائية لجهود السيوطي من خلال فحص مصنفاته في علوم القرآن ومنهجه فيها واختياراته ثم المآخذ عليه .

وأما دراستي ، فهي وصفية محدودة بكتاب الإتقان من حيث الإتيان على التعريف بأبرز مصادره وتأثيرها في اختياراته إجمالاً . 3. جهود الإمام السيوطي في التفسير من خلال «إتمام الدراية لقراء النقاية» للباحث أ.د. ربيوار محمد سعيد ، بحث منشور بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ١٧، العدد ٣، ٢٠٢٢ . عمد الباحث

في بحثه إلى إبراز جهود السيوطي في علم التفسير خصوصًا، ولم يتطرق إلى اختيارات السيوطي في علوم القرآن .

4. جهود السيوطي في دفع ما يُشكل من مسائل علوم القرآن من خلال كتابه الإتقان، للباحث د/ يحيى بن صالح الطويان. بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية ، العدد ١٨٤. تناول الباحث منهج السيوطي في دفع ما يشكل من علوم القرآن، وجهوده في الاجتهاد حيال التعارض بين الأقوال، وطريقته في الترجيح ثم عرض المسائل التي أشكلت في الفصل التطبيقي .

الإضافة العلمية إلى الدراسات السابقة :

تختلف دراستي عن هذه الدراسات، بتحرير الكلام عن المصادر المؤثرة في اختيارات السيوطي مع التمثيل لأبرزها، وما يترتب على طبيعة موضوعاتها من تسديد السيوطي لتصويباته، وبنائه التأصيل السليم لفنون علوم القرآن ، والامتنال للمسائل التخصصية من مصادرها المتخصصة ، مما يضيف على كتابه الريادة في علوم القرآن .

وعلى هذا التقرير فقد حاولت تمييز بحثي ودراستي في العناصر الآتية:

1. إبراز أهم المصادر التخصصية في علوم القرآن التي أثرت في اختيارات السيوطي .

2. بيان علاقة المصادر التأسيسية بالمسائل الدقيقة الواردة في علوم القرآن وكيفية ترجيح السيوطي بها.

3. الإشارة إلى نقد السيوطي لمن سبقه من مؤلفات علوم القرآن .

منهج البحث :

سلك الباحث في عرض الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي ، حيث حاول إبراز أهمية المصادر ومدى رجوع السيوطي إليها في كتابه الماتع الإتقان في علوم القرآن وتأثيرها في ربطها باختياراته .

فأما المنهج الاستقرائي، فقد تتبّع المصادر العامة والخاصة بتخصص علوم القرآن، ورتّبها على اعتبار تاريخ تأليفها بحسب وفيات مؤلفيها، و تمّ اختيار أبرز ما رآه الباحث مؤثرًا في الاختيارات العلمية لكتاب

الإتقان .

وأما المنهج التحليلي ، فحاول الباحث شرح المسائل المنتقاة، التي أوردها المؤلف وحررها، ونَبَّه على اختياره منها أو بنى عليها أو وافقها اجتهدًا ، وكذا ما تعقبها بنقد أو اعتراض.

خطة البحث :

يحتوي البحث مقدمة جامعة لعناصرها المرتبة من مشكلة البحث وحدوده، وأهداف البحث والدراسات السابقة ثم خطة البحث وهيكله وفيها: تمهيد في التعريف بالحافظ السيوطي وبيان أهمية كتاب الإتقان .

ثم مبحثان ، المبحث الأول : أبرز مصادر كتاب الإتقان .
المبحث الثاني: مجمل اختيارات السيوطي في مسائل علوم القرآن .
وختمته بنتائج وتوصيات .

هذا ، وإني راج عفو ربي عن كل زلةٍ حصلت، فإني اجتهدتُ قدر الإمكان في تحرير مادة هذا البحث متوخيًا الصدق في النقل والتحليل ، ومتحرِّيًا الصواب فيما انتهيتُ إليه من نتائج البحث ، معربًا عن اجتهادات السيوطي واختياراته، والله الموفق لما فيه خير القول والعمل .



تمهيد

التعريف بالحافظ السيوطي و بيان أهمية كتاب «الإتقان»

هذا مدخل منهجي، أعربت فيه عن ترجمة موجزة للحافظ السيوطي، ثم أتبعته بإثراء القيمة العلمية لكتاب الإتقان الذي يعدُّ أساس المادة العلمية التي استخرجت منها أهم مصادره في علوم القرآن واختياراته منها.

أولاً : التسمية والنشأة العلمية والوفاة

هو جلال الدين، أبو الفضل عبد الرحمن¹ بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ هماد الدين الهمام الخضيري الأسويطي.

وُلد بعد المغرب من ليلة الأحد، مستهلَّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمئة² لأبوين فاضلين، إذ كان أبوه مشتهراً بالصلاح والعلم والفتوى، وقد أنشأ ابنه جلال الدين على تحبيب طلب العلم إليه وإقراءه القرآن فأحضره مجالس العلماء، وقام على تحفيظه القرآن فما فتى حتى مات أبوه ولابنه من العمر خمس سنوات، وبلغ في الحفظ إذ ذاك إلى سورة التَّحريم، ثم ختمه في الشيخونية وهو ابن ثمان، وأتبعه بحفظ بعض المتون كالفية ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، وأرخ السيوطي بدء شروعه في التفرغ لطلب العلم في سنة أربع وستين³ فعَمُرُهُ حينذاك خمس عشرة سنة، وتلقى الفقه والنحو والفرائض على جماعة من الشيوخ، وتميَّز بملازمة أشياخه إلى مماتهم، فإنه التزم حلقة شيوخه صالح بن عمر البلقيني إلى وفاته، ثم لا زَم ابنه فقراً عليه شروح ولده عَلمَ الدِّين (ت ٨٦٨ هـ) كالروضة والمنهاج وغيرهما،

1- ينظر ترجمته في: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، (1/ 335)؛ والتحدث بنعمة الله تعالى، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ص 32)؛ و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، محمد بن علي (1/ 328)؛ والأعلام الزركلي، خير الدين (3/ 301)؛ و معجم المؤلفين، كحالة محمد رضا (5/ 128).

2- حسن المحاضرة، السيوطي (1/ 336)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (10/ 75).

3- حسن المحاضرة، السيوطي (1/ 336).

وأجازه للتدريس. ثم لما توفي سنة ثمان وستين لزم شيخ الإسلام شرف الدين المناوي. فقرأ عليه قطعةً من المنهاج، ومن تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) وغيرهما، ولازمه أربع سنوات -وشهد له غير مرة بالتقدم في العلوم- فألف حينها الجلال السيوطي شرح ألفية ابن مالك وشرح جمع الجوامع. ثم لازم شيخه محي الدين الكافجي أربع عشرة سنة حتى وفاته، فأخذ عنه فنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك، وكتب له إجازة عظيمة.

هذا، وقد أجاز السيوطي بإجازات عديدة متنوعة بين مراتب الأداء والتحمل من السماعات والمكاتبة والإجازة العامة، وحج إلى البلد الحرام والتقى بعلماء الحجاز وأجاز في ذلك وأحضر بعض مؤلفاته بحكم استمرار تأليفه حضراً وسفراً وعرف بها كنظمه مختصر ألفية ابن مالك في النحو وتقبلت قبولاً حسناً.

ثم عاد إلى بلده وواصل في التأليف والإستجازة، واشتهر بالنحو والأصول والتفسير والحديث والفقه، وتصدّر للفتوى، وعقد مجالس إملاء الحديث.

توفي السيوطي فجر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة⁴ (٩١١ هـ) في منزله بروضة المقياس⁵، بعد أن تمرّض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة.

ثانياً: كلمة عن مؤلفاته :

أورد السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة»⁶ تأليفه وقسمها باعتبار الفنون إلى سبعة، فالأول فن التفسير وتعلقاته والقراءات وفيه أربعة وعشرون كتاباً، والثاني: فن الحديث وتعلقاته وفيه ثلاثة وتسعون كتاباً، والثالث: في الفقه وتعلقاته وقد تضمّن أربعة

4- هدية العارفين، البغدادي (1/ 534) : البدر الطالع، الشوكاني (1/ 334-335).

5- شذرات الذهب، ابن العماد (10/ 78).

6- حسن المحاضرة، السيوطي (1/ 339-340) فما بعدها.

وعشرون مؤلفاً، والرابع الأجزاء المفردة في مسائل مخصوصة على ترتيب الأبواب وهي ثلاثة وأربعون مفردة، ثم الخامس فن العربية وتعلقاته وفيه أربعة وثلاثون مؤلفاً. والسادس فن الأصول والبيان والتصوف وفيه تسعة عشر مؤلفاً. والسابع: فن التاريخ والأدب وفيه خمسة وثلاثون كتاباً، ومجموع هذه المؤلفات التي دون أسماءها في كتابه حسن المحاضرة اثنان وسبعون ومائتان سفرًا.

ثالثاً: بيان أهمية كتاب الإِتقان

تتجلى أهمية كتاب «الإِتقان» وقيمتُهُ العلميَّة في خصائص دقيقة يمكن اختصارها في محورين اثنين: الأول: الابتكار ومحاسن صناعة التبويب، والآخِر: أثر كتابه في تأليف المتأخرين والمعاصرين.

المحور الأول: الابتكار ومحاسن صناعة التبويب

الابتكار والإبداع في تأليف السيوطيِّ عموماً وفي كتابه «الإِتقان» أمرٌ مَطرَدٌ واضح السَّمة، لما له من النُّشوء في خدمة القرآن وعلومه والظفر بشرفه وخيريته، فقد عُرف السيوطيُّ بمهاراته المتنوعة في أبوابٍ مفردةٍ من علوم القرآن، وبرز بذلك جهده المتميِّز بالإبداع وحسن الصنعة وقوة الرسوخ فيما يكتبه؛ وكتابنا -الإِتقان- هذا وَرَدَ فيه أبوابٌ ضَمَّنَها مسائلَ جَمَعَ لها من الهِمَّةِ وعلوِّ الرِّيادةِ والإضافة، كمثُل مبحث «طبقات المفسِّرين»⁷، فإنه من إضافاته لفنون علوم القرآن، فقد تتبَّع أكثر طرق وأسانيد الصحابة والتابعين في التفسير مميَّزاً بين صحيحها وضعيفها، مستوعباً إياها وموعزاً إلى مصادرها المسندة، ومورداً لها من بحوثه في دفاتر بطون أمَّاتِ الكتب والموسوعات الإسنادية والمخطوطات النادرة التي لم تبلغنا، وقد بنى هيكل بحثه هذا على معرفة مدارس الصحابة في التفسير، وأصحابهم الرواة ممَّا عبَّد له طريق البحث والاستقراء ومعرفة المصادر في ذلك.

وأما محاسن صناعة التبويب، ففي كتاب الإِتقان صنعةٌ اجتهدية

7- ينظر: الإِتقان في علوم القرآن، السيوطي (4/ 233).

أَمَلَتْهَا الْخِبْرَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي التَّأْلِيفِ، فَقَدْ كَتَبَ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً كِتَابَهُ «النَّقَايَةُ» الَّذِي ضَمَّ فِيهِ جُزْءاً فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ أَطْلَقَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْعُمُرِ «عِلْمَ التَّفْسِيرِ»، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِشَرْحِهِ فِي كِتَابِهِ «إِتِمَامُ الدَّرَايَةِ لِقِرَاءِ النَّقَايَةِ» مَبْقِياً عَلَى نَفْسِ الْإِصْطِلَاحِ، ثُمَّ كَتَبَ كِتَابَاتٍ مُتَفَرِّقَةً فِي مَوْضُوعَاتٍ شَتَّى، ثُمَّ كَتَبَ كِتَابَ «التَّحْبِيرِ فِي عُلُومِ التَّفْسِيرِ» بَعْدَ أَنْ وَقَعَ عَلَى «مَوَاقِعِ الْعُلُومِ فِي مَوَاقِعِ النُّجُومِ» لِلْبَلْقِينِيِّ (ت ٥٨٢٤هـ)، وَاسْتَفَادَ مِنْ صُنْعَةِ كِتَابِهِ وَتَرْتِيبِ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَفْرِيعِهَا عَلَى أَصُولِهَا، ثُمَّ قُدِّرَ لَهُ أَنْ تَطَّلَّبَ كِتَابَ «الْبَرْهَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» لِلزَّرْكَشِيِّ (ت ٥٧٩٤هـ) فَاسْتَفَادَ مِنْهُ، وَمَجْمُوعُ هَذِهِ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ أَفْرَزْتُ ظَاهِرَةَ التَّرْتِيبِ فِي «صُنْعَةِ التَّبْوِيبِ» مَعَ الْاعْتِرَافِ بِوُجُودِ الْإِخْتِلَافِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَهَذَا دَلِيلُ الْاجْتِهَادِ فِي أَفْضَلِيَّةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، نَحْوُ تَصْدِيرِ أَوَّلِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ عُلُومِ الْقُرْآنِ بِمَعْرِفَةِ الْمَكِيِّ وَالْمَدْنِيِّ وَهَذَا لِشَرَفِ مَكَانِ النَّزُولِ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ فُرُوعٌ تَلْحَقُهُ وَهُوَ الْفَرَاشِيُّ وَالْحَضْرِيُّ وَالسَّفَرِيُّ، ثُمَّ شَرَفَ الزَّمَانِ، ثُمَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْرِيقِ، بِخِلَافِ مَنْ تَقَدَّمَ كَالزَّرْكَشِيِّ (ت ٥٧٩٤هـ) فَإِنَّهُ ابْتَدَأَ أَوَّلَ الْأَنْوَاعِ مُصَدِّراً مَبْحَثَ «أَسْبَابِ النَّزُولِ»، وَهَذَا الْإِخْتِلَافُ فِي التَّرْتِيبِ لَدَى السِّيُوطِيِّ مَقْصُودٌ إِلَيْهِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ أَبْقَى نَفْسَهُ عَلَى نَفْسِ تَرْتِيبِ كِتَابِهِ «التَّحْبِيرِ فِي عُلُومِ التَّفْسِيرِ» الَّذِي أَلْفَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى كِتَابِ الْبَرْهَانِ، وَبَعْدَ أَطْلَاعِهِ لَازِمَ تَرْتِيبِهِ وَخَالَفَ الزَّرْكَشِيَّ (ت ٥٧٩٤هـ) فِي مَنْهَجِ التَّبْوِيبِ، فَدَلَّ عَلَى اِهْتِمَامِ تَنَاسُبِ التَّرْتِيبِ وَإِحْكَامِ «صُنْعَةِ التَّبْوِيبِ» بِمَا يَخْدُمُ أَوَّلَوِيَّاتِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ تَبَعَ الْبَلْقِينِيَّ (ت ٥٨٢٤هـ) فِي التَّرْتِيبِ الَّذِي صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ «مَوَاقِعِ الْعُلُومِ» بِالْكَلامِ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ فِي سِتَّةِ أُمُورٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَتَفَرَّعُ إِلَى أَنْوَاعٍ حَتَّى خَتَمَ الْخَمْسِينَ فَأَوَّلُ مَا ذَكَرَ مَوَاطِنُ^٨ النَّزُولِ وَأَوْقَاتُهُ وَوَقَائِعُهُ، جَمَعَ فِيهَا اثْنَيْ عَشَرَ نَوْعاً هِيَ: الْمَكِيُّ، الْمَدْنِيُّ، السَّفَرِيُّ الْحَضْرِيُّ، اللَّيْلِيُّ، النَّهَارِيُّ، الصَّيْفِيُّ، الشِّتَاءِيُّ، الْفَرَاشِيُّ، النَّوْمِيُّ، أَسْبَابُ النَّزُولِ، أَوَّلُ مَا نَزَلَ وَآخِرُ مَا نَزَلَ. ثُمَّ تَجَدَّدَ مَعَ صُنْعَةِ التَّبْوِيبِ وَإِحْكَامِ التَّرْتِيبِ، يَمْتَازُ بِمَا يَفِيدُ الْإِسْتِقْرَاءَ

٨- ينظر : مواقع العلوم في مواقع النجوم ، البلقيني (ص ٢٩) .

الجامع لما يكتب في الباب، بحيث تشمل قراءته مجموع مؤلفات الموضوع الواحد، ولا أدل على هذا من تصديره قائمة المصنفات في الباب الواحد وتعبيره عنه بقوله «صنف فيه» فلان وفلان ويسرد أسماء الأعلام ومصنفاتهم أو يقول «وصنف فيه قديما» أو «أشهر من صنف فيه» وهكذا، وهذا مؤشر الجمع والاختصار لموضوع من حيث إخبار القارئ بمصنفات الموضوعات، ويكفي فيه الاستفادة بوجود بعض ما وقف عليه من المخطوطات النادرة كتفسير الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، وتفسير ابن المنذر (ت ٥٣٩ هـ)، وتفسير الصنعاني (ت ٥٢١ هـ)، وابن عيينة (ت ٥٩٨ هـ)، وكتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ).

ثم الإتيان على زبدة أقوال العلماء في الباب ونسبة القول إلى مذاهبهم أو إلى اختلاف مدارسهم، كما فعل في المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والوجوه والنظائر وجَمَعَ تفسير النبي صلى الله عليه وسلم بحذف الأسانيد وعزو ذلك إلى المصادر المسندة^٩.

المحور الثاني: أثر الكتاب في تأليف المتأخرين والمعاصرين

اشتهرت تأليف المتأخرين والمعاصرين في التفسير وعلوم القرآن بالاستفادة من كتاب «الإتقان»، واعتباره رائداً في فنه -مع سبق غيره إلى تحقيق مسائل غير معدودات- لما تقدّم من الخصائص التي امتاز بها، وقد لمحت وأشرت إلى طائفة فيما سبق من البحث، أهمّها الجمع والتقصي والاختصار مع الابتكار، وقد تباينت طُرُق ومجالات النقل عن السيوطي^{١٤} بحسب مجال الاستفادة منه، ونسبة تحقيقاته في متطلبات المصنفات.

وتمثلت ظاهرة الاقتباس من السيوطي، واعتبار كتابه أهم المصادر في عرض ومناقشة قضايا علوم القرآن موزعة على فنون من التأليف، فلم تستقر على تأليف موضوعي واحد، كعلوم القرآن أو التفسير وأصوله أو الإعجاز القرآني أو القراءات، فمن المؤلفين من ألف في علوم القرآن عموماً، ومنهم من بحث قضايا علوم القرآن في

٩- ينظر : الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢٤٥ / ٤).

تفسيره، وعلى هذا التَّصَوُّر يمكن فحص كتب بعض الأعلام، الذين نهلوا من تحقیقات السيوطي^{١٠}، وبنوا على تأصيله أو نقده واختياراته. أمَّا التأليف في علوم القرآن عمومًا، فنحو كتاب ابن عقيلة المكي (ت ١١٥٠هـ)، والطاهر الجزائري (ت ١٣٣٨هـ)، وأما في التفسير وأصوله ومناهجه، فمثل تأليف أعلام المدرسة الإصلاحية المعاصرة، التي امتدَّت في أواخر القرن العشرين إلى وقتنا الحالي، حيث أضحت الدراسات القرآنية الحديثة تهتمُّ بخدمة كتاب «الإتقان» وتنطلق من إسهاماته، نحو تأليف عبد الحميد الفراهي (ت ١٣٤٩هـ)، ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، ومحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، وعبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩هـ)، ومحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ).

المبحث الأول : أبرز مصادر كتاب الإتقان

حَوَى كِتَابُ «الإتقان» مَصَادِرَ متنوّعةً أوردتها في خمس صفحاتٍ، وقد عرضها متعدّدُ الفنون والعلوم بحسب نسبة موضوعاتها إليها، فأول ما صدّره الكتب النقلية، وعنى بها تفاسير المأثور ومصادر السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُسَنَّدَةِ الأُصْلِيَّةِ والفرعية، كمثّل تفسير سعيد بن منصور^{١١} (٢٢٧هـ) وهو مقتبسٌ من سننه، وتفسير أبي جعفر الطبري^{١٢} (٣١٠هـ)، وتفسير ابن أبي حاتم^{١٣} (٣٢٧هـ)، وتفسير ابن المنذر^{١٤} (٣١٩هـ)، وتفسير الحاكم النيسابوري^{١٥} (٤٠٥هـ) وهو من مستدرّكه، وتفسير ابن كثير^{١٦} (٧٧٤هـ)، ومن مصنفات السُّنَّةِ الكتب السُّنَّةِ، وصحيح ابن حبان^{١٧} (٣٥٤هـ) وغيرها.

ثم أتبعها بكتب القراءات والغريب واللغة والبلاغة، وبعض كتب التفسير بالرأي أطلق عليها «تفاسير غير المحدثين»^{١٨} وهي مشهورة، وكتب أخرى كثيرة كتأليف الرسم والضبط وبعض الفنون الخاصة كمنتشابه القرآن.

ويمكن تقسيم المصادر إلى قسمين اثنين جامعين، بحيثُ يتنزّل كلُّ

١٠- الإتقان، السيوطي (١/ 35).

قسم على ما يحويه -مما يرتد إليه- من مُصنّفاتٍ مندرجة، وجملتها مصادر عامة وأخرى خاصة .

فأما المصادر العامة: فهي المصنّفات الجامعة لأنواع من المسائل المشتركة في فنون مختلفة، ولا يلزم منها الاتحاد في نوع الفن، إنما اشتركت في جنس العلم، ووردت فيها القضايا المتعلقة بعلوم القرآن بحسب سياقها وتبويب مسائلها، نحو المجاميع والمسانيد وشروح السنة، والطبقات والتراجم والتاريخ ومصنّفات السير .

وأما المصادر الخاصة: فكتبٌ متخصّصة في أفراد من علوم القرآن، أو خاصة بعلوم القرآن وقضاياه التفصيلية، نحو كتب «الناسخ والمنسوخ»، ومقدمات التفاسير، ورسم المصحف وضبطه، والقراءات وتوجيهها، وأسباب النزول، والمصنّفات التي اختصت بعنونة علوم القرآن أو ما شاكله ككتاب الزركشي (٧٩٤هـ) وجلال الدين البلقيني (٨٢٤هـ).

والمعول في هذا البحث، تحديد نماذج من هذه الكتب المتخصصة، لأثرها في اختيارات السيوطي، بتنصيبه تارة أو بالاجتهاد مما قوي عليه دليله الراجع إلى من سبقه من أصحاب الكتب المختارة . ولأجل هذه المناسبة، فضلت اختيار أبرز المصادر التي رجع إليها المصنّف، وعول على أدلتها وما أضافه إليها مما ظهر له من وجوه الاستدلال، ومن ثمة برزت اختياراته وترجيحاته .

1- الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس (ت٣٢٨هـ)

وهو أحد أهم المصادر المقدّمة في كتابات السيوطي وتحقيقاته، إلا ما تعقبه أو ما نقل عنه من إشكال فحرّره ومن أمثلة مواضع النقول منه، ما أورد في باب المكي والمدني القول بنزول سورة الأنعام جملة واحدة، منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنه ومسنداً إليه، وقد تعقب السيوطي أبا جعفر النحاس في قوله بمكية سورة النساء معللاً ذلك بنزول آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] بمكة، فقال: «زعم النحاس أنها مكية مستنداً إلى أن قوله تعالى -أي ما سبق من الآية- نزلت بمكة اتفاقاً في شأن

مفتاح الكعبة، وذلك مستنداً واهٍ ؛ لأنه لا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، خصوصاً أن الأرجح فيما نزل بعد الهجرة مدنيٌّ، ومن راجع أسباب نزول آياتها عَرَفَ الرد عليه، ومما يُرَدُّ عليه أيضاً ما أخرجه البخاريُّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»¹¹ ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقاً¹².

2- غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم ، محمود بن حمزة الكرمانى (ت ٥٣١هـ)

نقل السيوطي عن الكرمانى في بضع وثلاثين موضعاً، حيث ضَمَّن كتابه الإِتقان بمواضع من التفسير والمحكم والمتشابه ومفردات القرآن وما نزل بلغة العرب وغيرها من فنون علوم القرآن. وحضور كلام الكرمانى في كتاب الإِتقان يشعر بقوة التأسيس وتوجيه المرويات لما يرومه السيوطي، خاصة في نزول القرآن، وجمع القرآن والتفسير اللغوي، ومفردات القرآن، وفيما أشكل من التفسير، والمحكم والمتشابه وغيرها.

فمن مظان المواضع التي نقل السيوطي ، بحث وتحرير أقوال العلماء في أوّل ما نزل من القرآن، فأورد خمسة أقوال، الأوّل: وهو الصحيح { أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } [العلق: ١] ثم ذكر مذهب من يرى أولية نزول سورة {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١] . ثم القول الخامس حكاة عن الكرمانى وهو تصحيح كون حديث جابر رواه باجتهاده لا بروايته، فيقدّم عليه حديث عائشة الوارد رواية . واستحسنه السيوطي¹³.

11- الجامع المسند الصحيح المختصر، البخاري ، محمد بن إسماعيل، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن- رقم 4707 (4/ 1910) .

12- الإِتقان، السيوطي (1/ 47) .

13- المرجع السابق (1/ 94).



3- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة (ت ٥٦٦٥هـ)

بلغ عدد مواضع نقل السيوطي عن أبي شامة (٥٦٦٥هـ) من كتابه «المرشد الوجيز» ما يقرب من سبعة عشر موضعاً، وأكثر نقوله في مسائل نزول القرآن والقراءات، فإنَّ أبا شامة شحن كتابه بهذين الموضوعين بشيء من التفصيل والتوسيع والمناقشة والترجيح. وقد وافق السيوطي أبا شامة في بعض ما ذهب إليه واعتمده مصرّحاً به، ناهيك عن توجيه بعض معاني مفردات المرويات عن السلف. وخالفه في مسائل أخر معقّباً إياه.

فمن النماذج، ما ورد في الباب السادس عشر من كتاب الإتقان «في كيفية إنزاله»، نقل عن أبي شامة صحة سماع جبريل عليه السلام القرآن من رب العزة¹⁴ وأطّراد هذا المعنى في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن، مستنداً في ذلك إلى تفسير البيهقي لقوله تعالى قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] قال «إنا أسمعناه الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى سفلى»¹⁵، ووافقه على ذلك في تصحيح مذهب أهل السنة في أنَّ جبريل عليه السلام تلقى القرآن من رب العزة سماعاً وأثبت بهذا أن الكلام صفة قائمة بذات الله تعالى. ومن المواضع أيضاً، كثرة نقولاته في النوع الثالث والعشرين فما فوق، وهو في مسائل القراءات صحيحة وضابطها وشاذها وضعيفها، وقد وافقه في موضوعات عدّة، لعلَّو كعبه وسبقه إلى هذا الفن وهو إمام فيه، وقد ورث علم الشاطبي الإمام (٥٥٩٠هـ) عن تلميذه وراويته، شيخ أبي شامة الهمام علم الدّين السخاوي (٥٦٤٣هـ) عليهم جميعاً شآبيب الرحمات.

4- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)

لم يُكثِر السيوطي من النقل عن ابن تيمية (٧٢٨هـ)، لكنّه أحسن

14- المرجع السابق (1/ 158).

15- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة (1/ 14).

الانتقاء من كلامه في التأصيل والتحرير لبعض مسائل كتاب الإتيقان، من ذلك باب أسباب النزول، وشروط المفسر، ومعرفة طبقات المفسرين . وما يميّز انتقاءه عن ابن تيمية، هو الموافقة له في تحريره المسائل، من غير إتباعه بنقد أو اعتراض كما حصل لغيره من مثل البلقيني أو النَّحَّاسِ أو غيرهما ، وهذا يدلُّ على قوة ومثانة التأصيل الذي يرومه المؤلف وإصابته التحرير فيما يخطئه ويفضله . ومن ضروب أمثلة مَنْقُولِهِ عن ابن تيمية بيانه رفع الإشكالات الواردة في سبب النزول إذا صحت وتعارضت، كحكاية قوله : « وقال ابن تيمية: قولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك السبب داخل في الآية وإن لم يكن السبب »¹⁶ ثم مثل بأمثله .

٥- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ):

قد صرَّح السيوطيُّ في مقدمة كتابه « الإتيقان » بفرحه وسروره، لوقوفه على البرهان تأليف الإمام الزركشي ٧٩٤هـ، بعدما تطلَّبه وأبان أهميته في علوم القرآن ترتيباً وتبويماً وصنعةً ورسوخ علم، وكذا سبقه إلى محاسن التأصيل والتميز في هذا المنحى من التأليف، حيث قال عنه « .. ولما وقفتُ على هذا الكتاب ازددتُ به سرورا، وحمدت الله كثيرا وقوي العزم على إبراز ما أضمّرت، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان الكثير الفوائد والإتيقان، ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد، والفرائد والقواعد، والشوارد ما يشنف الآذان وسميته بالإتيقان في علوم القرآن¹⁷ ».

واستفادة السيوطيُّ من كتاب البرهان تارةً واردةً على التصريح، وهو الأكثر الغالب على طريقته، وتارةً بغير تصريح إذ ينقل منه ما يسدُّ بابه من السياق، وما يرمي إليه من اتساق، في مناسبة تأصيل أو

16- الإتيقان، السيوطي (1/ 115) .

17- المرجع السابق (1/ 27).

تحرير أو اختِجاج أو اعتراض ونقد أو استدراك .

فمما يواطىء مناسبة التأصيل، أصل الموضوع وهو التأليف في «اصطلاح علوم القرآن» فقد بقي برهة من الزمن وهو يفكر في تأليف ما يتعلّق بالقرآن من علوم التفسير، إذ رام المحدثون تأصيل علوم الحديث وتأليفها مع حسن تبويبها وترتيبها، وأعوز ذلك المفسرين فلم يؤلفوا على شاکلة المحدثين، حتى وقع على كتاب أبي الفضل عبد الرحمن بن عمر البلقيني (٨٢٤هـ)، ثم تلاه ما بلغه من خبر «البرهان في علوم القرآن» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ)، وهو بهذا يحزّر مسألة التدوين في علوم القرآن، وجمع وتهذيب مادتها كما فعل في كتابه «التحبير في علوم التفسير»، ولذا حُسّن في تقديره أن يوصف الكتاب بأنه لبنة منهجية في تأصيل فنون هذا العلم ومحتوياته التفصيلية، مع تقرير استفادته من الزركشي (٧٩٤هـ) في التأصيل والتبويب، والتحرير لأنواع هذا العلم وطريقة صنعته وتأليفه.

نعم، يفهم من سبق تأليفه التحبير والنقاية وشرحها، احتواؤها لمضامين علوم القرآن، لكن لم ينبّه السيوطي على اصطلاح علوم القرآن ولم يأل جهداً في تحرير التسمية مع اعتقاد وجود فكرتها، ولا أدل على هذا من انتقال عناوين مؤلفاته وبعض ما خطته يمينه، في تعريف بعض الفنون بصيغة الإجمال والاشتراك والتداخل، فقد سمى هذا العلم في كتابه الأول -النقاية- بعلم التفسير، ثم عدل عنه في التحبير إلى «علوم التفسير»، ثم استقرّ أخيراً على تسميته «بعلوم القرآن»، مع الإشارة إلى أطراد أصل الإشكال فيما تضمّنه جزء «علم التفسير» من كتابه النقاية، وما أتبعه في شرحه عليه، فقد قال في تعريفه: «علم التفسير، علم يبحث فيه أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنّده وآدابه وألفاظه ومعانيه المتعلّقة بألفاظه والمتعلّقة بالأحكام وغير ذلك وهو علم نفيس لم أقف على تأليف فيه لأحد من المتقدمين حتّى جاء شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني (٨٢٤هـ) فدوّنه ونقده وهذبه ورتبه في كتاب سمّاه «مواقع العلوم من

مواقع النُّجُوم»¹⁸ فالسياق إذن في الكلام عن تدوين علوم القرآن واصطلاحه، لا عن اصطلاح التفسير، مع التنبيه إلى مناسبة ما كتبه في المتن -قبل شرحه- ولم يتجاوز العشرين من عمره، بل تأكيد حداثة سنِّه لمَّا بلغه كتاب جلال الدين البلقيني (٨٢٤هـ)، وهذا مؤشرٌ قويٌّ في تقدير إرادته علوم القرآن واصطلاحه لا تعريف علم التفسير، ألا ترى أنه بقي على نفس النمط في شرح التعريف، وما أتبعه من الثناء على صنعة كتاب مواقع العلوم، واستفادته منه وما أرففه من زوائد وفرائد. وعليه فإنَّ تأصيل وتحرير «عِلْمِ علوم القرآن» اصطلاحاً قَصَدَ إليه السيوطيُّ في تأليفه «الإتقان في علوم القرآن» كما يبدو، ولو لم يقدِّم له تعريفاً، والله الموفق.

ومن مظان استفادة السيوطي من تحرير الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ما أوردَهُ في باب معرفة أسماء سُور القرآن وهو يتناول خلاف العلماء في المسألة توقيفاً أو اجتهداً ويعزو الأقوال إلى المذاهب، فقد نبَّه على منشأ الخلاف وحقيقته فقال: «قال الزركشي في البرهان: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات، فإن كان الثاني فلم يعد الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها. وهو بعيد. قال: وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به..¹⁹ ...الخ». ومن مواضع نقوله عن الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ما أورده في باب جمع القرآن، وهو يحزر مسألة الخلاف في توقيف ترتيب السُّور عن الصحابة- قوله عنه- مصرّحاً «والخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السُّور باجتهاد منهم فال خلاف إلى أنه: هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر...²⁰».

18- إتمام الدراية لقراء النقاية، السيوطي (ص: 20).

19- الإتقان، السيوطي (1/ 197).

20- المرجع السابق (1/ 217).

وأيضاً، حَزَّرَ السيوطيُّ، في باب معرفة معاني الأدوات مسائل دقيقة وأتى على ضبطها، وأظهر دلالات حروف المعاني وتباين اختلاف سياقها ومواقع مداليلها بحسب النظم والاستعمال كمادة «الظن» فإنه نبّه إلى ظاهر معناها اللغوي واختلاف مواضع الاستعمال القرآني أهو الاعتقاد الراجح وغلبة الظن، أو اليقين بحسب السياق وقرائن الترجيح، وههنا نبّه على مورد قول الزركشي (٥٧٩٤هـ) معترضاً به في التفرقة بين مداليل الكلمة بحسب مواضعها فقال نقلاً عنه: «وقال الزركشي في البرهان: الفرق بينهما في القرآن ضابطان: أحدهما: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعقاب فهو الشك. والثاني: أن كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك نحو ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢]. وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين كقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيهِ﴾ [الحاقة: ٢٠] ... ثم قال: فتمسك بهذا الضابط فهو من أسرار القرآن»²¹

6- كتاب «مواقع العلوم من مواقع النجوم» لجلال الدين البلقيني (٨٢٤هـ)

وهو أهم مصدر توثيقي في بحث تأصيل علوم القرآن وتعدادها، لأنه وقع عليه السيوطي زمن الفتوة ولم يؤلف بعد كتاب «التحبير في علوم التفسير»، مع اهتمامه بما يتعلق بالتفسير من مباحث ونكت ومُلح، وإنما شدَّ انتباهه السيوطي إلى محاسن الصنعة والتبويب والتخريج العلمي لتأصيلات المسائل وردّ الجزئيات على الكليات- ما أبدعه الجلال البلقيني (٨٢٤هـ) من تقسيمات تُعرب عن الفكر الأصولي في التأليف، فقد قسم أصول موضوعات كتابه إلى أمور ستة مفرعاً عن كل أصل ما يرجع إليه تضميناً ونسقاً، فبلغ بالأصول الستة وفروعها خمسين نوعاً²²، وقال في مقدمة مواقع العلوم:

21- الإتيان، السيوطي (2/ 236).

22- ينظر: مقدمة تحقيق، «مواقع العلوم من مواقع النجوم للبلقيني»، د/ الخطاب، أنور محمود المرسي، (ص 15).

- «أنواع القرآن شاملة، وعلومه كاملة، فأردت أن أذكر في هذا التصنيف، ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف، من أنواع علمه المُنِيف، وأجعل ذلك مقدمة للتفسير والمسؤول من الله التسهيل والتيسير. وتخصّر الأنواع في الكلام على أمور:
- ▶ الأول: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه وفيه اثنا عشر نوعا.
 - ▶ الثاني: السند وفيه ستة أنواع.
 - ▶ الثالث: الأداء وفيه ستة أنواع.
 - ▶ الرابع: الألفاظ وفيه سبعة أنواع.
 - ▶ الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام، وفيه أربعة عشر نوعا.
 - ▶ السادس: المعاني المتعلقة بالألفاظ، وضمنه خمسة أنواع»²³.

ولم يُكثر السيوطي النقل عن البلقيني (٨٢٤هـ) في التحرير، كما حصل له عن الزركشي (٧٩٤هـ)، ولعلّ سبب ذلك وقوعه أوّل مرّة على كتاب «مواقع العلوم»، فأثنى على صنعة التبويب، وانبرى لتأليف «التحبير في علوم التفسير»، وحواه بفنون انفرد فيها عن البلقيني ونبّه إليها أنها من زياداته عليه، ونقل عنه ما احتج إليه من مسائل أصول الفقه المتعلقة بعلوم القرآن كمبحث الدلالات، أو مبحث التواتر والآحاد، مع نقد ما رآه أولى في اختياره.

فمن ذلك، مسائل العموم والخصوص، فقد ذكر في التقسيم الأوّل للعام وهو الباقي على عمومته «قال: القاضي جلال الدين البلقيني ومثاله عزيز إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص فقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، قد يخص منه غير المتكلف، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ﴾ [المائدة: ٣] خص منها حالة الاضطرار وميتة السمك والجراد وحرم الربا وخص منه العرايا²⁴». ثمّ قام بتوجيه كلام البلقيني (٨٢٤هـ) وحمله على أحسن محامله، وهو أنه أراد تخصيص الأحكام الفرعية كما هو ظاهر تمثيله، قال السيوطي

23- مواقع العلوم، البلقيني (29/28).

24- الإتيان، السيوطي (49/3).



بعده» قلت: هذه الآيات كلها في غير الأحكام الفرعية فالظاهر أن مراد البلقيني أنه عزيزٌ في الأحكام الفرعية، وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها وهي قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣) فإنه لا خصوص فيها²⁵.

7- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف، ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)

رجوع السيوطي إلى ابن الجزري، هو رجوع اعتماد وتأسيس وتحرير واختيار، فقد قدّمه على غيره في مسائل القراءات وضوابطها، ومعرفة أسانيد القراء والحفاظ، والتجويد والأداء، والوقف والابتداء، وأحسنَ النقولات عنه، وتخير أمثلها وأدلّها على مراده. وخير ما رأيت التمثيل له، تعقبه الأئمة بقوة اختياره، كمثل ما تعقب جلال الدين البلقيني في تقسيمه القراءات إلى متواتر وآحاد وشاذ، قال السيوطي: «اعلم أن القاضي جلال الدين البلقيني قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة، والشاذ قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم. وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري»²⁶. ثم تعقب البلقيني وانتقده²⁷.

8- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) :

يُمثّل «فتح الباري» أحد أهم مصادر السيوطي في كتابه الإتقان، وهو وإن كان في شرح كتاب من كتب أحاديث الأحكام، إلا أنه اشتمل على طائفة لا بأس بها من آثار علوم القرآن كتحقيق طرق وجودة

25- الإتقان، السيوطي (50/3) .

26- الإتقان، السيوطي (1/ 258).

27- المرجع السابق (1/ 258).

أسانيدها والراجح بينها كأسباب النزول فقد اهتمَّ به اهتمامًا بالغ الأهمية في تحرير أسانيد الصَّحابة الجيَادِ وَضَعِيْفَهَا ومعرفة طُرُقِهَا إليهم، للوقوفِ على آثارهم في التفسير عمومًا وفي أسباب النزول خصوصاً .

ومن أمثلة الاستفادة من فتح الباري، النوعُ الثمانون -الأخير- من كتاب الإِتقان وهو « طبقات المفسرين » فقد أثبت أصله في «التحبير» وهو « معرفة المفسِّرين فاكتفى هناك ببيان أسمائهم وأجلَّهم على معرفة الأزمان ممَّنِ اشْتَغَلَ بالتفسير بالرواية من الصحابة والتابعين إلى عهد الطبري (ت ٣١٠هـ).

وأما في كتاب الإِتقان، فقد مضى به التحرير والتفصيل والتقسيم على نظام الطبقات ومعرفة أسانيد الصحابة والتابعين، فمن ذلك أسانيد عبد الله بن عباس (٥٦٨هـ) رضي الله عنهما، وأبي بن كعب (٣٢هـ) رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود (ت ٥٠هـ) رضي الله عنه، فقد فقال في جملة ذلك « وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه، قال أحمد بن حنبل «بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا» أسنده أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في ناسخه.

ثم نقل عن ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قوله: « وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي عند البخاري (ت ٢٥٦هـ) عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس وأخرج منها ابن جرير (ت ٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) وابن المنذر (ت ٣١٩هـ) كثيرا بوسائط بينهم وبين أبي صالح، ...»²⁸

وفي النوع الأول، من أنواع علوم القرآن لدى كتاب الإِتقان، وهو سبب النزول، نقل السيوطي عن ابن حجر تقريره على سورة الضحى حكاية نفي قِصَّةِ إِبْطَاءِ جبريل عليه السلام بسبب الجرو أنه هو سبب

28- الإِتقان، السيوطي (4/ 237)؛ والعجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني (1/ 207)؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (8/ 438).



النزول، قال « قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب وفي إسناده من لا يعرف فالمعتمد ما في الصحيح²⁹ » .

ومن مضان استفادة السيوطي من ابن حجر ونقله عنه في بعض ما حرّر، ما أورده في معرض الكلام عن أول ما نزل، وهو يحرر اختلاف المفسرين في كونه هل هو سورة اقرأ أو سورة الفاتحة؟، قوله: ((قال ابن حجر: « والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول³⁰ »)) يعني بالأول سورة اقرأ .

وأيضاً في باب جمع القرآن وترتيبه، نقل ترجيح ابن حجر لتوقيف ترتيب السُّور كاملاً مع دليله إذ قال « وقال ابن حجر: ترتيب بعض السُّور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً. قال: ومما يدل على أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن حذيفة الثقفي قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف ... الحديث، وفيه: فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: كيف تُحزبون القرآن؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من «ق» حتى نختم³¹ » قال: فهذا يدل على أن ترتيب السُّور على ما هو في المصحف الآن، كان على عهد رسول الله ﷺ. قال: ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه³² ».

ونختم مسألة اقتباس الحافظ السيوطي من الحافظ ابن حجر في باب معرفة حفاظه، مع الإشارة إلى أن مواضع الاستفادة من فتح الباري كثيرة جداً لما داخل علوم القرآن الكثير من المسائل الحديثية المرتبطة بها من حيث الاستدلال أو التأريخ أو الترجيح بالرواية عن الثقات وبيان ضعف بعض الأخبار، أو إفادة ما لم يُعلم بالنقل عن

29- الإتيان ، السيوطي (1/ 118) .

30- المرجع السابق (1/ 94) .

31- مسند أحمد بن حنبل، ابن حنبل، حديث أوس بن أبي أوس الثقفي-رقم 16166 (26/ 89) ؛ و سنن ابن ماجه ، ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في كم يُستحبُّ يُختم القرآن-رقم 1345 (2/ 370)

32- الإتيان، السيوطي (1/ 219) .

عَلِمَ ، فمن ذلك ما نقل السيوطيُّ في باب معرفة حفاظ القرآن وهو النوع العشرون إفادة تحقيق كون الخليفة أبي بكر الصّدِّيق رضي الله عنه قد ختم القرآن حفظاً وهو معدودٌ في مَنْ خَتَمَ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حجر (٥٨٥٢) « والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففي الصحيح أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن، وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك. قال: وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة إنه كان يأتيهم بكرة وعشيا. وقد صح حديث: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لَكِتَابِ اللَّهِ» وقد قَدَّمَهُ فِي مَرَضِهِ إِمَامًا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَقْرؤُهُمْ³³، ثُمَّ تَعَقَّبَهُ السَّيُوطِيُّ بِسَبْقِ الْخَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ (٧٧٤هـ) إِلَى مَا رَجَّحَهُ .

ومن خلال ما تقدّم ، يتبيّن مدى اهتمام السيوطي بمصادر تأسيسية في تأصيل وتحرير موضوعات علوم القرآن، ولربّما لم يكثر النقل من بعضها لكنها أثّرت في لفت انتباهه وإشاراته لأهميتها في العلم أو الفنّ الذي كتب فيه من هذه الأنواع الثمانية .

وأوسع هذه المصادر الأصلية الأساسية المؤثرة، كتاب البرهان للزركشي فقد نقل منه في أكثر من أربعين موضعاً تخللها في مسائل مهمات علوم القرآن كما سبق الإشارة إلى بعضها .

ثم يرد بعد في مرتبة الاقتباس والاعتماد، كتاب فتح الباري لابن حجر، في تسعة وثلاثين موضعاً، وأكثرها في أدلة المسائل من الآثار .

ثم الكرمانى في تسعة وثلاثين موضعاً ، وهي مسائل تفسيرية لغوية أو إعرابية أو ما يتعلق بمشكل القرآن ، أو المحكم والمتشابه .

ثم الأنباري، في اثنين وعشرين موضعاً ، وهي في مسائل من علوم القرآن اشتركت مع غيره مما مر من المصادر نحو نزول القرآن وجمع القرآن والوقف والابتداء .

ثم أبو شامة، وأكثره في القراءات وجمع القرآن ونزوله .



ثم البلقيني وابن تيمية ، وكلاهما في تسعة مواضع ، إلا أن الأول في علوم القرآن المحضة كالقراءات وجمع القرآن ، والآخر في مسائل التفسير واختلاف المفسرين ، وطبقاتهم ومدارسهم وتأصيل ونقد أسباب النزول.

المبحث الثاني : مجل اختيارات السيوطي في علوم القرآن :

اختيارات السيوطي مهمة جداً، لما تحويه من رسوخ العلم ومثاقته، وتحقق منزلته بين العلماء والمؤلفين في الموضوعات المتفرقة من علوم القرآن، وقد تجسدت واضحة من خلال أسلوبه وطريقة عرضه وجهة استدلالاته وعزم ترجيحاته ، وفي قراءتي لكتاب الإتقان وجدته متعدّد التعبير عن اختياراته في الجملة لا في التفصيل، أعني المسائل الأمهات في أنواع علوم القرآن لا دقائقها وتفريعاتها، ولهذا سأخصص المسائل الكلية ببيان اختيارات السيوطي مجملًا، حملاً للقارئ على فهم صنعة الكتاب وبناء أدلته من حيث تأطيره مباحث علوم القرآن، وأما المسائل التفصيلية فبحسب مقامها ووضعها المتناسق في ربطها بكلياتها، وهذا أوان الشروع في بيان لمسات اختياراته:

1. يُصَرَّح بالتصويب لعدد من المسائل الخلافية في علوم القرآن التي ظهر له الرجحان فيها، وغالباً ما يتبع فيه مذهب الجمهور، نحو اختيار تصويب تعدد سبب النزول، وتأويل الروايات التي تعارضت فيه على إرادة الواقعة وحمل الآية عليها لا على سبب النزول الصريح. وهذا واضح في اختياره واستدلاله، نحو الاختلاف في سبب نزول الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ، فعن ابن عباس³⁴ رضي الله عنه قال: مرَّ يهودي بالنبي صلى الله عليه

34- مسند أحمد بن حنبل ، ابن حنبل :مسند عبد الله بن عباس رقم (2988/5) ؛ و الجامع الكبير ، الترمذي، محمد بن عيسى: أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الزمر رقم (3240/5) .وقال الترمذي:

وسلم فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السماوات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه؟ فأنزل الله ﷻ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وتعقب السيوطي بقوله (والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم»³⁵ «وهو الصواب فإن الآية مكية»³⁶ . فهنا بيان معنى النزول بكونه حمل الآية على الواقعة لا أنها سبب مباشر، بدليل قرينة ما في الصحيح من قول الراوي «فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم» كما مرّ، وهو توجيه سديد من السيوطي وملحظ مهم في تحرير الترجيح واختيار ما هو مناسب في سبب النزول. وفي باب كلامه على «كيفية إنزال القرآن» وهو النوع السادس عشر، ذيل على هذه المسألة بما اشتبّه مما نزل على الأنبياء جملةً، فأشار إلى التوراة والزبور وغيرهما، وبنى على مذهب الجمهور صحة نزولها جملةً، غير أنه نقل من خالف وانفرد بقوله بنزولها مفزّلاً ونسبه إلى أحد فضلاء عصره وأبهمه، وردّ قوله بحمل ما نزل قبل القرآن على ما نزل مفزّلاً من التنزيل، قال السيوطي «وأقول: الصواب الأول ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان السابقة»³⁷.

2. اختار السيوطي في معنى إنزال جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي ﷺ، سماعه من رب العزة لأنه «صفة قائمة بذات الله تعالى»³⁸ قاله أبو شامة (ت ٦٦٥هـ)، ووافقه السيوطي بقوله «ويؤيده أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى، ما أخرجه الطبراني»³⁹

هذا حديث حسن صحيح غريب.

35- الجامع المسند الصحيح، البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى (وما قدرُوا الله حق قدره) رقم 4811 (126/6).

36- الإتيان، السيوطي (1/ 124).

37- الإتيان، السيوطي (1/ 153).

38- المرجع السابق (1/ 158).

39- لم أفت عليه في معاجم الطبراني الثلاثة، وهو بسياق آخر في الجامع الصحيح معقلاً مجزوماً به، وفي سنن أبي داود وغيره بألفاظ متقاربة، ولفظه في صحيح البخاري موقوفاً عن ابن مسعود -وله حكم



من حديث النّوَّاس بن سَمْعَانَ مرفوعاً: إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة فكلما مر بسماء سألته أهلها ماذا قال ربنا؟ قال: الحق. فينتهي به حيث أمر...»⁴⁰.

لكن نقل بعده عن الجويني (ت ٤٧٨هـ) تقسيم نزول الوحي إلى قسمين: قسم نزل مأموراً به أن ينقله بالمعنى بالوحي إليه إن الله يقول لك افعل كذا وكذا، وآخر أوحى الله إلى جبريل أن اقرأ ما في هذا الكتاب فنزل به جبريل من غير تغيير لكلمة أو حرف. قال السيوطي «القرآن هو القسم الثاني»⁴¹، غير أن هذا يفسد ما أضل له من قبل بحديث النّوَّاس بن سَمْعَانَ عند الطبراني وما في الصحيح، وهي هفوة منه فيما أحسب، فإن ظاهر هذا القول هو تأويل نزول جبريل بالقرآن من غير أن يتلقاه سماعاً من الله عز وجل، ومعلوم مذهب القراء وأهل الحديث هو ثبوت سماع جبريل عليه السلام القرآن من رب العزة ثم نزوله بما سمعه على النبي ﷺ فأسمعه إياه، وهو الصحيح المعتمد. وفيه إبطال للقول بتلقي جبريل القرآن من اللوح المحفوظ، والله الموفق.

3. انتقد السيوطي جلال الدين البلقيني (٨٢٤هـ) إدراج القراءات الثلاث المتقدمة العشرة في قسم الآحاد- ومن ثم أبطل القول بتواترها- ورد عليه السيوطي باعتماد قول القراء وأهل الأداء المحققين كابن الجزري في صحة اعتماد القراءات الثلاث وإدراجها في قسم القراءة الصحيحة المشهورة المقبولة كالسبع، لتوقف صحة القراءات على الشروط المعتمدة المعلومة لدى قراء السلف، قال

الرّفْع- «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا (ماذا قال ربكم قالوا الحق) .
ينظر: الجامع المسند الصحيح، البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} . رقم 7481 ، (6/ 2719).

40- الإتيان، السيوطي (1/ 158) .

41- المرجع السابق (159/1) .

السيوطيُّ في رده على البلقيني (٥٨٢٤ هـ) ، « وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزريّ قال في أوّل كتابه النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلف ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة، أُطْلِقَ عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أو عن أكبر منهم. هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرّح بذلك الدّاني ومكي والمهدوي وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه⁴² .

فبيّن الحافظ السيوطيُّ أهمية الرجوع إلى أهل الشأن ذوي التخصص المحققين بما لا يُعدل عنه، إذ إنهم العمدة في تحرير مسائل الأداء والقراءات، وعليه فترشيح شيخ الفنّ ابن الجزريّ (ت ٥٧٧٤هـ) مثلاً في اعتماد الترجيح وبناء المذهب المختار أوكد ما يعوّل عليه .

4. قَسَمَ القراءات⁴³ إلى متواتر ومشهور وآحاد، وشاذ وموضوع ومُدْرَج ، لا إلى متواتر وآحاد. ومنشأ هذا الاختيار ، مخالفة ما ذهب إليه شيخه البلقيني بتحديد تقسيم القراءات بين متواتر وشاذ، ونَبّه بهذا الصنيع على مراجعة مصادر أهل الأداء الذين محصوا أنواع القراءات كابن الجزري ، فأبرزوا المتواتر وحدّه ثم المشهور الصحيح الذي لم يبلغ حدّ المتواتر ، ثم الأحاد المخلّ ببعض أركان القراءة المقبولة فحُفِظ ولم يستعمل في الإقراء وإنما في التفسير ثم أنواع الضعيف المجملّة . وعليه فإن الفروق بين هذه الاصطلاحات مؤثرة في توجيه ما هو مدوّن في بعض كتب الأصول أو أمهات

42- الإِتْقَان ، الإِتْقَان، السيوطي (1/ 258) .

43- المرجع السابق (1/ 264) .



علوم القرآن التي عمّمت القول بتقسيم القراءات إلى متواتر وآحاد وأطلقت دونها تحرير .

5. اتّبع السيوطيُّ الزركشيَّ بيانهُ وُجُوهَ إعجاز القرآن، إذ نقلَ جملةً من الأقوال ، وبمجموعها يقع الإعجاز لما في كل مذهب من جودة في الجهة، فمنها الأسلوب الفصيح، ومنها البلاغة الراقية العالية، ومنها النظم المنسجم المتناسق، ومنها اختيار الألفاظ والكلمات، وتراكيبها في محلها من المواضع دون غيرها، ومنها قصر الآيات وبديعها، ومنها لفتاتٌ وأوائل السُّور المقطّعة وما تحويه من معانٍ مختصرة جامعةٍ، وبالكُلِّ اجتماعاً يحصلُ الإعجاز المنتظم في التّنزيل ، قال الزركشي (٥٧٩٤): «أجمع أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده، فإنه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده، مع اشتماله على الجميع.. الخ⁴⁴»، وإنما حمل السيوطيُّ على اعتبار هذا المذهب لنقل الزركشيَّ الإجماع على وقوع الإعجاز بحصول جميع وجوهه لا واحداً بعينه مطلقاً، وذلك لضعف انفراد الآحاد من هذه الأوجه فيؤثر في نسبة الإعجاز، بخلاف لو اجتمعت فإنها مؤثرة في تحصيل الإعجاز لنظم القرآن، لذا كان اعتماد قول الزركشي في تأصيل وجه حصول الإعجاز مهمُّ، بل الزركشيُّ نفسه اعتمد الإجماع على ورود الإعجاز القرآني باجتماع جميع وجوه الإعجاز، وفي ذلك قوة وتأثير في النظم القرآني بما لا مردَّ له .

6. حرّر في باب «العلوم المستنبطة» إمكان الاستنباط من القرآن علوماً متفاوتةً متباينةً، بحسب أحكامها الفقهية والاعتقادية، وغيرها مما يحتاج إليها المكلف، فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، ونبّه على سبق الأئمة إلى تضمين مصنفاتٍ في هذا الشأن، ونوّه بكتابه المُفرد في هذا الأمر المسمى «الإكليل في استنباط التنزيل»، قال «ذكرتُ فيه كل ما استنبط منه من مسألة فقهية أو أصلية أو اعتقادية وبعضها مما سوى ذلك كثير الفائدة جم العائدة يجري مجرى الشرح لما أجملته

في هذا النوع فليراجعه من أراد الوقوف عليه⁴⁵.

7. اختار السيوطي جواز قراءة تفسير القرآن بالعجمية لأنه محض تفسير، بخلاف قراءة حروفه بالعجمية فلا يجوز مطلقاً، وكذا اختار عدم جواز قراءة القرآن بالشاذ.

8. يرى تضمين السُّورِ المكية من المدني وعكسه على الاصطلاح المشهور في أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وضدّه المدني، وقد جمع له كراسة حافلة دقيقة حواها كتابه المفرد في أسباب النزول، قال السيوطي « قلت: وها أنا أذكر ما وقفت على استثنائه من النوعين مستوعبا ما رأيته من ذلك على الاصطلاح الأول دون الثاني وأشير إلى أدلة الاستثناء لأجل قول ابن الحصار السابق، ولا أذكر الأدلة بلفظها اختصارا وإحالة على كتابنا أسباب النزول⁴⁶ ».

9. اختار في وجه تسمية القرآن بالقرآن مخففاً من غير همز ما ذهب إليه الشافعي من أنه اسمٌ للكتاب المنزل خاص به، غير مشتق ولا مهموز، وبه قرأ المقرئ عبد الله بن كثير (١٢٠هـ)، قال السيوطي: « قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي⁴⁷ ».

10. يميل في تقسيم الوقف-في أداء التلاوة- إلى ما نقله عن المحقق ابن الجري في عرضه التقسيم باعتبار الاختيار والاضطرار ولكل ضابط، وقد ابتداءً بعرض مذاهب العلماء في الوقف، فنقل مذهب ابن الأنباري (ت ٥٣٢٨هـ) والسجائدي (ت ٥٥٦٠هـ)، وختّمه بكلام المحقق ابن الجزري يشعر بترجيحه إياه واختياره، خاصة مع إطالته في التمثيل لكل نوع وقسم من المراتب الثلاث المشهورة في الاختياري وعدم الاعتراض عليه أو استلحاق إشكال بعده، ثم إنه صَحَّح مذاهب الأئمة القراء أهل الأداء في نصهم على مواضع الوقف من القرآن. وانتهى إلى الاستدلال على ما ذهب إليه الإمام أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) من ترشيح الوقف على رؤوس الآي. وفي باب السكت ألزم بالنص على أنه لا يجوز إلا ما ثبت بسماعٍ

45- الإتيان، السيوطي (4 / 40).

46- الإتيان، السيوطي (1 / 56).

47- المرجع السابق (1 / 182).



فقد نقلَ نصَّ ابن الجزريِّ بقوله (الصحيح أنَّ السكتَ مقيد بالسماح والنقل، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته⁴⁸).

11. نقل الخلاف في مذاهب العلماء في حكم المناسبات بين السُّور والآيات، ثم اختار ضمناً ترشيح مذهب المحققين وهو الجواز، ونَبَّه على مسائل منهجية وضوابط في هذا الحكم، وأشار إلى ما كتبه مفرداً في هذا الفن الشريف كتابين اثنين، الأول في وقوع المناسبات وتطبيقاتها في السُّور وهو «تناسق الدرر في تناسب السُّور»⁴⁹، والآخر في تخصيص القول في المناسبات بين فواتح السُّور وخواتمها وهو «مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع»⁵⁰.

12. إختار نزول الوحي في اليقظة دون النوم، مع تصحيحه ظاهر القول بنزول الوحي في النوم، لكن الأشبه بنزول الوحي يقظة هو المعتمد، وأجاب عن بعض ماورد من نزول القرآن في حالة الإغفاء بتأويلها إلى حالة الإغماء بسبب ما كان يجد من أثر الوحي وشِدَّتِه، واستأنس بقول الرافعي (ت ٦٢٤ هـ) في ذلك مع حكايته باختياره وميله إليه من قبل وقوفه على كلامه.

13. لا يُكتفى في إسم السُّور بغير مستندٍ من الأثر، إذ الأصل التوقيف في التسمية إلا ما جرى من الاشتهار بتسمية سُورٍ من القرآن بما حوته من قصة، أو صفةٍ تخلصها، أو ما اشتهر فيها مع النقل عن السلف في ذلك، فأما الاجتهاد في تعداد التسمية لمناسباتها فيلزمه الاستناد إلى أثر.

14. يرى السيوطي وقوع المعرَّب في القرآن خلافاً لأصحابه الشافعية، وقد توسَّع في المسألة بتحرير محلِّ النزاع وأفرده بالتصنيف في «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب»، ونقل منه في الإتيان ملخصاً مادَّتِه، قال السيوطي (وأقوى ما رأيته للوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي

48- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (1/ 300).

49- الإتيان، السيوطي (3/ 369).

50- المرجع السابق (3/ 379).

ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان. وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، ليتم إحاطته بكل شيء، فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب⁵¹... الخ).

15. يرى وقوع المجاز في القرآن، وقد ألف فيه مصنفاً، هو «مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن».

16. مذهب السيوطي في «أوائل السُّور» أو «الحروف المقطَّعة» أنها من المتشابه، قال السيوطي: (ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال: إن لكل كتاب سرّاً وإن سر هذا القرآن فواتح السُّور⁵²... الخ).

17. يرى وقوع التضمين في الحروف والأسماء والأفعال، وأما «المشترك» أو «الإشتراك» فهو أحد مباحث المجمل، قال السيوطي: «وللإجمال أسباب: منها الاشتراك نحو (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَوَسَ) [التكوير: ١٧] - فإنه موضوع لأقبل وأدبر...»⁵³.

18. مذهبه في مصطلح مشكل القرآن هو التعارض، لا المشكل المعروف بالالتباس عند المفسرين وجمهور الأصوليين⁵⁴. ولعل من موجبات هذه الفروق الاصطلاحية، هو اشتغال السيوطي بعلوم الحديث فأحكم هذا النوع في كتاب الإتيان على طريقة المحدثين في معاملتهم المشكل معاملة «مختلف الحديث»⁵⁵، والذي يقوّي هذا الرأي، هو ثبوت هذا التقرير نفسه في كتاب «التحبير في علم التفسير» فقد قال السيوطي في النوع السادس

51- الإتيان، السيوطي (2/ 126).

52- الإتيان، السيوطي (3/ 24).

53- الإتيان، السيوطي (3/ 59).

54- المرجع السابق (3/ 88).

55- «وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً فيؤفّق بينهما أو يرجح أحدهما» ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (2/ 651).



والأربعين منه» هذا النوع من زيادتي- أي على مواقع العلوم للبلقيني- ويشبهه من أنواع علم الحديث: مختلف الحديث، إذ المراد منه الآيات التي ظاهرها التعارض المنزّه عنه كلام الله⁵⁶، وعليه فصنعة السيوطي في تقرير هذا المصطلح هي امتداد لما قرّره في «التحبير»، ثم حاول الجمع بين المصطلحين «المشكل وموهم التعارض» إدراجاً لهما في مبحث واحد، إذ قال في وصفه «المشكل وموهم الاختلاف والتعارض»: «والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات، وكلامه تعالى منزّه عن ذلك ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة، فاحتيج لإزالته، كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة⁵⁷» اهـ.

56- التحبير في علم التفسير، السيوطي (ص 95) .

57- الإتيان في علوم القرآن، السيوطي (3 / 88) .

الخاتمة

حاولتُ في هذه الدراسة بيان أهم المصادر التي رجع إليها السيوطي في أمهات فنون علوم القرآن وبعض تفصيلاته مما يتعلق بجوانب لغوية أو تفسيرية، وقد توصلت إلى نتائج أحسب أنها تؤتي أكلها في البحوث والدراسات بشيء من الإضافات المنهجية أو الفنية :

- ▶ غالب اختيارات السيوطي موافقات لمن سبقه من أهل العلم بالقرآن ولجمهور المفسرين وعلماء علوم القرآن .
- ▶ لم ينفرد السيوطي في أحكامه على القراءات ، وقد وافق القراء المحققين المحررين فيما أضلوا له وحرروا .
- ▶ اتبع السيوطي في أبواب كيفية نزول القرآن، وأوّل ما نزل وجّمع القرآن، وسمع جبريل عليه السلام القرآن من ربه مذهب المحدثين وعلماء السلف، وهو مذهب جمهور علماء علوم القرآن.
- ▶ ورد في البحث ما يقرّب عشرين اختياراً لأنواع من قضايا علوم القرآن ، ويمكن الزيادة عليها إذا كانت الدراسة استقرائية جامعة بين المصادر وأثرها في الاختيارات.
- ▶ للسيوطي انفرادات قليلة في قضايا من علوم القرآن، ورد بعض أمثلتها في البحث .

التوصيات :

- تمخّض عن هذه الدراسة ، أفكار بحثية يمكن وضعها في لبنّة منهجية الدراسات القرآنية الحديثة ، منها :
- ▶ استدراكات ابن عقيلة على السيوطي في علوم القرآن .
 - ▶ انفرادات السيوطي في قضايا علوم القرآن .
 - ▶ منهج السيوطي الحديثي في مرويات علوم القرآن .

والله الموفق



قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .
- أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي [١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م]، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. تحقيق : طيار آلي قولاج . دار صادر - بيروت ، لبنان .
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل [١٤٢٢ هـ] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري). تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر . دار طوق النجاة ط١. بيروت - لبنان.
- البغدادي، إسماعيل بن مُحمَّد (د تا). هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. دار إحياء التراث العربيّ بيروت - لبنان.
- البلقيني، جلال الدين عبد الرحمن بن عمر (د تا) . مواقع العلوم في مواقع النجوم . تحقيق د. أنور محمود المرسي خطّاب . دار الصحابة للتراث- طنطا - مصر .
- البلقيني، جلال الدين عبد الرحمن بن عمر (٨٢٤هـ) . مواقع العلوم في مواقع النجوم . تحقيق ودراسة: نبيل صابري، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر- نوقشت عام ٢٠١٦م .
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى [٩٩٨م] . الجامع الكبير (سنن الترمذي) . تحقيق بشار عواد معروف . دار الغرب الإسلامي . بيروت لبنان .
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم [١٣٩٠هـ] . مقدمة في أصول التفسير . دار مكتبة الحياة . بيروت.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (د تا). النشر في القراءات العشر . تحقيق علي الضباع . المطبعة التجارية الكبرى . القاهرة .
- ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي [١٣٧٩هـ] . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار المعرفة- بيروت .
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي . [د تا]، العجايب في بيان

- الأسباب .تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس . دار ابن الجوزي .
- ابن حنبل، أحمد [٤٢١هـ] ، مسند الإمام أحمد بن حنبل . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى .
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله [١٩٥٧م] . البرهان في علوم القرآن . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ .
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر [١٩٧٤م] . الإتيقان في علوم القرآن . الهيئة العامة المصرية .
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر [٤٠٥هـ] . إتمام الدراية لقراء النقاية . تحقيق إبراهيم العجوز . دار الكتب العلمية - بيروت . ط ١ .
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر [د تا] . التحدث بنعمة الله . تحقيق اليزابيت سارتين . المطبعة العربية الحديثة .
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر [٨٧٨هـ] . حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية . مصر . ط ١ .
- الشوكاني، محمد بن علي [دط - دتا] . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . دار المعرفة . بيروت .
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير [٤٢٠هـ] . جامع البيان في تأويل آي القرآن . تحقيق أحمد محمد شاكر . مؤسسة الرسالة ، ط ١ .
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن علي [٤٠٦هـ] . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . تحقيق محمود الأرنؤوط . خرّج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط . دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى .
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه [دتا] . تحقيق: شعيب الأرنؤوط . دار الرسالة العالمية .
- النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (دتا ..) . صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت .



- Renewing the advocacy discourse and ,)2023(,Metwali,k confronting intellectual deviation, a descriptive, analytical, and critical study, INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF .,ISSUE(1(1,ACADEMIC STUDIES, ,)VOL,3,PP:306-301.
- Hussien,F (2023) The virtues of Al-Aqsa and Al-Quds Al-Sharif and the prophets, companions and followers who lived there.. INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC STUDIES, (ISSUE:5), (VOL: 2), ,Pp:92-63



الجامعة الإسلامية بنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM